الأنساق السردية في رواية صنعاء مدينة مفتوحة لمحمد عبد الولي وحدة المبنى وتعدد المعنى

Narrative patterns in the novel Sana'a, an open city, by Muhammad Abd al-Wali

The unity of the building and the multiplicity of meaning

***د. تغريد عبد الحكيم سيف غالب**

جامعة تعز- اليمن.bhrallght@gmail.com

د. ماجد قائد

جامعة أَبْيَن- اليمن.aboskher1982@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/02/08 تاريخ القبول: 2023/03/21 تاريخ النشر: 2023/12/17

ملخص

يتناول هذا البحث الأنساق السردية في رواية (صنعاء مدينة مفتوحة) لمحمد عبد الولي، ويدرس تعدد وحدات المبنى السردي والمعنى الدلالي، وقد استعان بالمنهج السيميائي السردي التأويلي، لفك وحدات السرد وأنساقه في الرواية، وملامسة معانيها الدلالية، وقد توصل إلى مجموعة من النتائج، من أهمها: إن النص الروائي في رواية (صنعاء مدينة مفتوحة) لمحمد عبد الولي خطاب روائي، تميز باتساق مجموعة من الأنساق والبنيات والوحدات السردية، التي ساهمت في بناء معماره الفني، كما يعد خطابا ناقدا لواقع المجتمع اليمني، وتصوير مأساته، وتجسيد صور الحياة بتناقضاتها ومعاناته، وهو محاولة للتعبير عن الماضي ومعالجة الواقع واستشراف المستقبل.

الكلمات المفاتيح: الأنساق والوحدات السردية، الخطاب الروائي، رواية (صنعاء مدينة مفتوحة)، المبنى الروائي، المعنى الدلالي.

Abstract:

the embodiment of images of life with its contradictions and suffering, and it is an attempt to express the

This research deals with the narrative patterns in the novel .past, address reality and anticipate the future (Sana'a, an open city) by Muhammad Abd al-Wali, and studies the multiplicity of narrative building units He used the interpretative narrative semiotic approach to decipher the narration .and the semantic meaning He reached a set of results, the most .units and its patterns in the novel, and touch their semantic meanings important of which are: The text of the novel in the novel (Sana'a, an Open City) by Muhammad Abd al-Wali is a narrative discourse, the consistency of a group of narrative patterns, structures and units, which contributed to building its artistic architecture. It is also a critical discourse on the reality of Yemeni society. And the portrayal of his tragedy, and And the portrayal of his tragedy, and the embodiment of images of life with its contradictions and suffering, and it is an attempt to express the past, address reality and anticipate the future.

Keywords :narrative patterns and units, narrative discourse, novel (Sana'a is an open city), narrative structure, semantic meaning.for summaries.

***المؤلف المرسل**: تغريد عبد الحكيم سيف غالب، **الإيميل**: bhrallght@gmail.com

1 مقدمة

إن رواية (**صنعاء مدينة مفتوحة**) للروائي اليمني محمد عبد الولي خطاب روائي، باذخ الرؤى، ومترف بالتقنيات السردية، يحفل بالكثير من المقومات والأنساق السردية، وهو ما دفعنا إلى البحث عن هذه الأنساق، ومحاولة كشفها في السياق الروائي من حيث الوحدات السردية التي شكلت وحدة النص الروائي، وينطلق البحث من سؤال مفاده، إلى أي حد ساهمت الأنساق والوحدات السردية في تشكّل الخطاب الروائي في رواية (صنعاء مدينة مفتوحة) للروائي محمد عبد الولي، وبناء المعاني والدلالات؟

للإجابة عن سؤال الإشكالية السابقة استعنا بالمنهج السيميائي السردي التأويلي للإحاطة ما أمكن بالأنساق والوحدات السردية في الرواية، وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول وحدة الأنساق السردية للمحور السردي، وأشار المبحث الثاني إلى وحدة الأنساق السردية للموضوع السردي، ودرس المبحث الثالث وحدة أنساق الحدث السردي، وختم بخاتمة لخّصت أهم نتائجه.

2. المبحث الأول: وحدة الأنساق السردية للمحور السردي:

فالمحور هو" وظيفة تداولية، كما هو معلوم، تُسند إلى عنصر الخطاب الدال على الذات التي تشكل محط الحديث"[1]، ومحاور الخطاب هي" تلك الذوات التي يُسند إليها خطابٌ ما معلوماتٍ ما"[2]، وقد تضمنت (صنعاء مدينة مفتوحة) شخصيات تشكل محاور الخطاب باعتبارها الذوات التي تدول حولها أحداث الرواية، حيث حمل الخطاب السردي الواحد – في الغالب – محاور متعددة (شخصيات الرواية) إلا أن هذه المحاور ليست جميعها متساوية في الأهمية بالنسبة للحدث المسرود ككل، ومن هنا نستطيع التمييز بين المحور الرئيسي(شخصية نعمان) والمحاور الثانوية(شخصيات الرواية)، وتقاس أهمية المحور" بمدى استمراريته كمحط حديث من بداية الخطاب إلى نهايته"[3]، فثمت محاور دائمة ومحاور مؤقته ذات استمرارية محدودة، وقد شكلت (صنعاء مدينة مفتوحة) محورين هما:

أولا: المحور الرئيسي: وهو المحور الذي" يحظى بديمومة عبر النص السردي لا تحظى بها المحاور الأخرى[4]، و يتم إدخاله لأول مرة بطريقة مباينة حيث إنها: تورد دفعة واحدة لا في مراحل، ويحال عليها باسم علم، ويأخذ موقع الفاعل في الجملة التي ترد فيها لأول مرة. ومنها قول السارد: " **عاد محمد مقبل من عدن، بعد أن سمع أخبار الأمطار**"[5]. **ف(محمد مقبل)** اسم علم اقترن بزمن العودة مع تحديد مكان العودة (عدن)، وكذا سبب العودة، فهو لم يعد تلقائيا أو لسبب ذاتي، وإنما عاد بعد أن سمع بهطول الأمطار. فضلا عن ذلك فقد احتل (**محمد مقبل**) موقع الفاعل في الجملة الفعلية التي تدل على الاستمرار والحركة، وهنا ورد توظيف المحمول الفعلي دون المحمول الاسمي من السارد، لتنبيه المتلقي بأنه يريد منه أن يشاركه في تغيير الوضع القائم، والتحرر من جلباب الظلم، وكأنها دعوة صريحة في خطاب ضمني بالثورة على الحال الذي هو فيه، **ف (محمد مقبل)** هو الثورة نحو التحرر، والرمز الإشاري الذي يستعمله السارد للوصول إلى عقل كل متلق، لذا نراه يستعمله باستمرار معه، فهو صديقه الوفي وهنا تظهر إمكانية السارد ومدى حبه للثورة والتجديد والانتفاض مما هو فيه.

ثانياً: المحاور الثانوية: وهي المحاور التي لا تنتمي إلى الحدث المسرود ذاته والتي إن انتمت إلى الحدث تختفي بعد ظهورها لأول مرة، حيث ترد حاملة لمعلومة غير معطاة في النص الروائي، آخذة غالبا موقع المفعول به أو أحد مواقع اللواحق أو موقع الفاعل [6] كالآتي:

2.1. محاور وردت حاملة موقع المفعول به في الجملة ذات المحمول الفعلي

كما هو الشأن في قوله: " **وقبل أن أعود المنزل بعد أن هدئت الأمطار، رأيت فتاة كانت قد تخلفت عن العودة إلى منزلها، تجمع قليلا من الأحطاب من فوق الجبل، فداهمها المطر فاختبأت في بطن كهف، وكان من سوء حظي أو حسنه، لا أعرف أن رأت الفتاة كل ما فعلته، حين قابلتها ابتسمت ابتسامة جذابة، أحسست أن فيها نوعا من السخرية؛ ولكنني تجاهلت ابتسامتها، ومضيت عائدا إلى المنزل**" [7]، فالفتاة في الجملة الأولى(رأيتُ فتاةً) جاءت حاملة موقع المفعول، و – أيضا – حاملة لمعلومة غير معطاة، فهي الثورة، وتخلفها عن العودة كناية عن صبره وتحمله لما يعانيه كل فرد من أفراد المجتمع، وكذا إصراره للدعوة في سبيل تحرير الوطن، والخروج به من أزمة القمع المستبد، حيث وصل به الحال إلى القول:" **وكان من سوء حظي أو حسنه، لا أعرف أن رأت الفتاة كل ما فعلته...**"[8].

2.2. محاور وردت حاملة موقع الفاعل في الجملة ذات المحمول الفعلي

ومن أمثلة ذلك قوله: " **لم يخرج من تحت الإنقاذ إنسان حي**" [9]، فقد وقعت كلمة (إنسان) فاعلا للفعل يخرج الذي استعمله السارد بأسلوب المحمول الفعلي، حيث كان يحلم بأن يجد من يسانده في ثورته ويقف إلى جواره ضد الظلم، إلا أن طموحه لم يتحقق، فقد كانت سلطة القمع أقوى من كل شيء، والمنزل المنهار حمل فيه كل طموح السارد وأحلامه، حتى إنه كان يقف موقف الحائر، وهو يرى ثورته وانتفاضته مشوهة أمام عينيه، ومع كل ما يجري له، إلا أنه ظل متماسكا ومصرا على إكمالها.

3.2. محاور وردت في موقع اللواحق في الجملة

كما ورد في قوله: " **وهناك تعرفت على الفتاة التي اخبرتك عنها من قبل، ولقد رأيت أن لها جمالا مثيرا، إنها تقضي دائما ظهر كل يوم في الجبل تجمع أعواد الحطب اليابسة، وكانت كلما رأتني ابتسمت وفي ابتسامتها أجد عالما جديدا في هذا العالم الذي أعيش فيه**" [10] فشبه الجملة(على الفتاة) هي اللاحقة، وهي بؤرة الحوار الذي يدور بين (نعمان) وصديقه، فهو يريد أن يخرج همومه لمن يهتم به،(ففتاة الجبل) كانت شغله الشاغل وأمله المستقبلي وطموحه الذي يسعى جاهدا للحصول عليه، لأنها أمل نجاة البلاد مما هي فيه، فهي مستقبله في إظهار العدالة والمساواة في الوطن، لذا لم تكن مجرد وسيلة للمتعة والتسلية – فقط – يقضيها بضع ساعات، وإنما كانت طوق النجاة التي ينتظرها كل فرد من أفراد المجتمع البائس الحزين، القابع تحت وطأة الظلم والحرمان.

3. المبحث الثاني: وحدة الأنساق السردية للموضوع السردي

تُعد وحدة الموضوع من أهم الوحدات التي ينبغي مراعاتها داخل النص السردي الروائي؛ لأنها تعمل على تناسق الخطاب الكلي في إطار قضية معينة تُناقش في عدة محاور، وقضية الثورة والانتفاضة هي موضوع (صنعاء مدينة مفتوحة)، وتخلل هذا الموضوع عدة محاور منها: (الاهتمام بالأرض، الدعوة إلى العدل، الحث على العمل، رسم معاناة الفتاة الريفية، و ...)، ولن تتم وحدة الموضوع الكلي للنص إلا بتوفر وحدة الخطاب السردي الروائي حيث تشكل هذه الوحدة تكاملا ذاتيا للخطاب كفكرة تؤدي غرضا مقصودا من خلال ثلاث وحدات هم: (وحدة المحور، ووحدة الحدث، ووحدة الموضوع)، لهذا يعد موضوع الرواية مختلفا تماما عن محاورها المتعددة، هذا مع أنه — قد- يتبين للمتلقي - منذ الوهلة الأولى - أن هناك اتفاق كُلي بين وحدتي الموضوع والمحور لاسيما فيما يتعلق بالغرض الذي يناقشه كل منهما؛ لكن يظل التمييز بينهما مرتبطا بالشخصيات التي تؤدي دورها في مناقشة موضوع ما، فالموضوع الروائي واحد في كل الرواية، أما المحاور فهي متعددة، حيث نستطيع الانتقال من محور إلى محور داخل الرواية مع المحافظة على موضوع الرواية.

4. المبحث الثالث: وحدة أنساق الحدث السردي

فالحدث الروائي جزء متميز من الفعل في القصة، أي هو " سرد قصير يتناول موقفا أو جانبا من موقف "[11]، وقد عد أرسطو الحدث" سلسلة من الوقائع المتصلة تتسم بالوحدة والدلالة وتتلاحق من خلال بداية ووسط ونهاية نظام نسقي من الأفعال "[12]، فالحدث هو المشكل لفحوى القصة، أو المشكل لقوام النص السردي[13]، المتمثل في ما يرويه (محمد عبد الولي) عن حياة (نعمان) في روايته (صنعاء مدينة مفتوحة)، وحياة مختلف الشخصيات على وفق تنظيم زمني له بداية ونهاية ومراحل وسطى، و الحدث في (صنعاء مدينة مفتوحة) تمثل في حياة بطل الرواية (نعمان) الشاب اليمني الذي عاش في غربة و مكابدات نفسية وروحية وضياع نفسي / وواقعي، افتقد فيها الهدف لحياته، وفي أحايين كثيرة كسر الواقع أجنحة أحلامه ودمر طموحاته، وزلزل كيانه، حيث ظل أسيرا لحياة الغربة والانهزام حينا من الزمن، حاول نسيان الواقع ومداواة جراح الغربة الروحية والنفسية، ولكن دون جدوى، فالضبابية والضياع صارتا عنوانا لحياته السقيمة، التي ناقشها في وقائع وأحداث متنوعة، تمثلت الأحداث في: (تغيير الحي، و الزواج بهند، ورجوع محمد مقبل و ...).

أما الوقائع فقد كانت متناثرة آخذه مساحة غير عادية في الرواية، ومنها (التعرف على فتاة الجبل السمراء (زوجة درهم بكر)، و اللقاء بها، وواقعة الرسمة التي أتى بها أحد الدراويش، وواقعة النهاية الحتمية لفتاة الجبل السمراء، و تفاصيل واقعية لمعاناة الفتاة اليمنية في الريف، و...)، حيث تخلل النص الروائي السردي قسمين، (قسم سردي، و قسم غير سردي) تضمن كلاهما حدثا واحدا، أو أحداثا متنوعة يربط بينهما موضوع واحد على وفق أطر متداخلة تسهل الانتقال من حدث إلى آخر، فحياة (نعمان) تشكل الحدث الرئيسي الذي يحمل في طياته عدة أحداث منها (الانتقال من مكان إلى مكان، والبحث عن العلم والعمل، واللقاء بعدة أشخاص في ظل مسيرة حياته منهم من أعطاه المتعة ومنهم من أعطاه العلم والنصيحة، ومنهم من سخِر منه ومن قدراته، ...) وغيرها من الأحداث التي شكلت بناء قويا للرواية.

ومن أهم مميزات وحدة الحدث السردي الروائي في (صنعاء مدينة مفتوحة) ما يلي:

– عدم تضمن الجملة الافتتاحية أي رابط–حرف عطف– يربطها بما سبق

فجملة الافتتاح " **تساءلت كثيرا قبل أن اكتب لك** " [14]، شكلت وسيلة ناجحة للدخول إلى عالم النص، لاسيما وهي خالية من أي أنواع الروابط، وبهذا فقد مثلت حركة واستمرارية لحدث التساؤل على مستوى الخطاب السردي الروائي بأكمله منذ البداية المبدوءة بها الرواية (تساءلت)، وحتى النهاية التي اختتمت بسؤال (محمد مقبل لنعمان) بقوله: " **نعمان هل ستعود إلى عدن؟** [15].

– الجملة الافتتاحية ذات قوة إنجازية إخبارية على مستوى النص السردي

حيث يعد الإخبار من الجمل الوصفية التي" لا تصف ولا تخبر ولا تثبت أمرا على وجه الإطلاق، ومن ثم فهي لا تدل على تصديق أو تكذيب"[16]، بل " إن النطق بالجملة هو إنجازها وإنشاؤها ..."[17]. لهذا شكلت الجملة الفعلية (تساءلت) إخبارا سرديا، يُشير إلى أن الغرض من السرد هو الإخبار بمجموعة من الوقائع والأحداث مستندة إلى محور ما، وبهذا يُعد الإخبار هو القوة الإنجازية التي تنتج الدرجة القصوى من السرد الموضوعي للنص الخطابي.

والإخبار كغرض رئيسي حمل في باطنه أغراضا أخرى [18] منها (الاستفهام الاستنكاري، والسخرية والاستحقار) ومنه حوار نعمان مع فتاة الجبل السمراء بقوله: " **فتاة الجبل: كيف حال هند؟ نعمان: إنها بخير** "[19]، **ففتاة الجبل** لا تريد أن تسأل عن حال زوجة نعمان (هند) –لأنها تعلم ذلك – بقدر ما تريد أن تخبر (نعمان) بمدى تقصيره مع زوجته، لا سيما وهي في انتظار مولودها الأول " **لقد سمعت أنها تنتظر مولودا** "[20]. وهذا يؤكد أنها لم تكن تسأل بقدر ما هي تسعى جادة للإخبار المبطن بالاستفهام الاستنكاري، وفي الحوار نلمح أن (المتكلم) – فتاة الجبل السمراء– كانت تُخفي السؤال سخرية من المتلقي الجاهل للنعمة التي بين يديه، حتى يؤكد المتلقي هذا الزعم بقوله: " **إنها تتهمني بعدم اهتمامي بزوجتي** "[21]، ومع علمه وفهمه الدقيق لما ترم له فتاة الجبل إلا أنه يرد عليها بالقول: " **لم تخبرني بذلك**"[22]، حيث ينفي سؤالها السابق (لقد سمعت أنها تنتظر مولودا) بعدم الإخبار معللا ذلك بقوله: " **لعلها مجرد إشاعة**"[23]، وحتى تُظهر فتاة الجبل حقيقتها الإخبارية **تقول:**" **لكنها أخبرت جميع النساء في القرية** " [24]، فالإخبار العام جاء مؤكدا ونافيا لما يزعمه (نعمان) بأنها مجرد إشاعة، لذا تصدر الحوار السردي غلبة المتكلم بالأسئلة المبطنة بالإخبار الحقيقي لما تعانيه زوجه نعمان من اهمال وتقصير في حقها، حتى إن فتاة الجبل وصلت بالحوار إلى سؤال أثار (نعمان) وجعل منه شخصا آخر يرفض أن يُنعت بما وصفته به بقولها:" **لما تحاول أن تكذب؟**"[25]. وبهذه الحقيقة الإخبارية يتوقف (نعمان) عن الإجابة؛ لأنه لم يكن يحب فتاة الجبل السمراء، وكل ما يريده منها هو اللقاء الجميل فقط، حيث يُعبر عن ذلك بقوله: "**إنني شعرت بالمتعة الحقيقة مع هذه الفتاة أكثر مما عرفتها مع غيرها حتى زوجتي، كانت يا صديقي امرأة محرومة من زوجها منذ سنوات وأنا لا أجد ما أريده في المنزل** " [26].

ومن هنا ينعكس الخطاب السردي من المتلقي (المسؤول) إلى المتكلم السائل، ويطلق المتكلم سؤاله: " **متى يعود زوجك؟**"[27]، وفي هذا السؤال استحقار تام من فتاة الجبل (المتلقي) مقابلة لما تفعله مع (نعمان) فهو لم يقصد السؤال بمعناه الحقيقي – وهو متى سيعود زوجك؟ – ولا ينتظر منها إجابة بتحديد الفترة الزمنية التي سيعود فيها، بقدر ما كان سؤاله استحقارا

لما هي عليه، كونها لا ترفض له طلب، ولأنها فهمت مغزى الحديث وفحواه خفضت وجهها نحو الأرض متجاهلة قصده ومتناسية فعلتها بقولها: " **لا أدري**" [28]. وهي بهذا تتيح (لنعمان) عمل ما يشاء في أكبر وقت ممكن، لكن (نعمان) لم يكن على ثقة من إجابتها، حيث يعيد السؤال بصيغة تقريرية أخرى بقوله: "**ألا يكتب لك؟**"[29]، إذ تنفي الإجابة مباشرة بـ (كلا)، ويظل (نعمان) في حيرة من أمرها، وعلى ثقة بأن (فتاة الجبل) لم تخبره بالحقيقة، حتى يقول لها: " **ألا تكتبين له؟**"[30]، وفي سؤاله هذا التقريري، يبحث عن إجابة له بالإيجاب (نعم)؛ لكنها تنفي ذلك بالإنكار التام، قائلة: " **إنني لا أعرف أين هو حتى اكتب له**"[31].

وبهذا يُظهر النص تحولاً في السرد الاستفهامي غير الحقيقي، حيث يقول(نعمان): " **ومن أين تأتيك المصاريف إذن**"[32]، وهو بهذا – التعجب الساخر – يقدم سؤالا محيرا كونها تتمتع بحياة جيدة، مما يؤكد أنها تمتلك نقودا كافية لمعيشتها في ظل الأوضاع الريفية الصعبة، حيث تجيب بقولها: "**يرسل أخي لي أحيانا بعض النقود**"[33] وهنا حاولت التخلص من نظرات السخرية التي يرمقها بها في ظل التأكيد على مصدر الإرسال الحقيقي، إلا أنه يعود ويقول لها: " **لا بد إذن أن حياتك صعبة نوعا ما** "[34]، فتبتسم قائلة " **لماذا تظن ذلك؟**"[35]، وهذه إشارة منها إلى أنها تتحمل كل الأعباء وعدم شعورها بالعجز أو الضعف مقارنة بزوجة نعمان، مؤكدة أن حياتها ليست صعبة كونها تعمل في الأرض والمنزل معا، نافية عدم اهتمامها بزوجها لأنه لا يهتم بها، وهذا ما جعل المتكلم يتساءل: " **لماذا لا تطلبين الطلاق**" [36].

يبدو أن السارد كان يهدف لطرح موضوعات متنوعة في إطار الغربة والهجرة والظلم وسلب حقوق الآخرين، وعدم الاهتمام بالنساء واهمالهن وترك كامل المسؤولية على عاتقهن، و ... كلها أحداث تدور في خطاب سردي يمثل البيئة اليمنية والريفية على وجه التحديد، كما في قوله: " **إننا كلما مارسنا الحياة اليمنية أدركنا عمق المأساة، ولكن كلما تهرّبنا زدنا من المأساة وعمقنا جذورها، ووهبنا لها حياة أخرى، لكي تقضي على المأساة.. يجب أن نعرف أنفسنا** "[37]. وفي سبيل تحقيق استمرارية السارد في سرد الأحداث المروية على المستوى التسلسلي المنطقي الزمني للأحداث، وجدنا أحداثا كثيرة وحالات يلجأ إليها الأديب لضمان استمرارية أحداث قصته بعد أن كانت قد انقطعت، ومنها:

– القطع

حيث يعد القطع من الحالات التي تفرض سيطرتها على السارد، بتوقف سرد الأحداث، بسبب السرد الرجعي أو الوصف أو التعليق أو الانتقال من حدث إلى حدث باستعمال عدة وسائل، منها[38]:

– استعمال الفعل الماضي(كان) مسبوقا باسم، متبوعا بالأداة(قد)الواردة بعد الفعل المساعد والمتوسطة بينه وبين المحمول الفعلي، كالآتي:

(اسم + الفعل الماضي (كان) + الأداة (قد) + فعل (المحمول)

ومن أمثلة ذلك قول محمد عبد الولي:

" ولكنني لم استطع ..لأن الحزن كان قد بدأ يحتل مكانا في قلبي " [39].

فلأن السارد (لم يستطع) ورد القطع باستعمال الفعل الماضي (كان) المتبوع بالأداة (قد) والفعلان (بدأ + يحتل). ولأننا نعتبر القطع التام يكون باستعمال نموذج معين وهو ((اسم) + (كان) + الأداة (قد) + (فعل)) إلا أن السارد تمرد على هذا النمط بإضافة نموذج مشتق من النموذج الأول وهو إضافة فعل آخر متبوعا بالفعل التابع للأداة كما يلي: (اسم + كان + قد + فعل + فعل) ولعل السبب يعود في ذلك إلى أن السارد كان في وضع حزن وقلق مستمر، جعله يوظف الأفعال بشكل مستمر آملاً بحركة التجديد والاستمرارية نحو التغيير. والسارد لم يلجأ للقطع إلا بسبب السرد الرجعي للأحداث، فهو يريد منهم أن يستمروا في الحديث لأنه سمعهم، بقوله: "**رأيت زوجتي تبكي في أحضان أمي التي بدأ بصرها يكف أكثر وأكثر، وسمعت أبي يحدثها قائلا: لا فائدة منهم إن طلعوا رجال، فليفيدوا أنفسهم، أما أنا فسأموت غدا...ولكنني لم استطع.. لأن الحزن كان قد بدأ يحتل مكانا في قلبي**" [40].

– استعمال السارد لبعض الصيغ المعجمية التي تكون في الغالب لاحقة زمنية، منها:

(بالأمس، من قبل، منذ زمن بعيد)

ومنه قول السارد: " **وهكذا ترى يا صديقي أن السيل والأمطار كانت لا تحمل الخير هذا العام، بل إنها كانت فظيعة...بالأمس ودعت كل الأماكن العزيزة على نفسي الأكمة والكهف والجبل الذي تنام فوقه المنازل القديمة ورأيت أثار الدار التي تهدم وأسقطت دمعتين ومضيت إلى المقبرة....**"[41] فاللاحقة الزمنية (بالأمس) جاءت في تسلسل زمني لسرد لأحداث، وكأنه يسرد مأساة حقيقية مملوءة بالندم، فبالأمس حمل معاناته و أشواقه، وكل أحلامه التي باتت سرابا، فقد ودع كل شيء عزيز على نفسه لاسيما (الأكمة والكهف والجبل) التي حملت معها ذكرياته المؤلمة، وبالأمس كان سجلا تاريخيا سجل فيه المعاناة والحرمان والقهر والظلم، وكأنه كان يضع من (الأمس) نقطة انطلاقة نحو الحاضر بكل ما فيه من تطورات تخدم البلاد وأهلها.

و نراه – أيضا– يستعمل اللاحقة الزمنية(منذ زمن بعيد)، بقوله:" **لم أحدثك عن القرية منذ زمن بعيد، منذ تركتها، إن الأحوال لا تزال كما هي، ذهب موسم الأمطار، أتى الشتاء، ومعه المجاعة، هناك عشرات بل مئات من الأسر تشردت** "[42] **ف**(منذ زمن بعيد) جاءت لخدمة الخطاب السردي، ومراعاة لوحدة المحور الذي يهتم به السارد في روايته منذ البداية إلى النهاية في تسلسل زمني منتظم، على وفق أحداث متناسقة تهدف إلى الوصول المتلقي إلى مغزى الرواية ومقاصدها، لذا وردت الصيغة المعجمية شارحة للجملة التي قبلها، وكأن السارد يعمد إلى تفصيل المجمل تفصيلا مبنيا على الإيضاح والشرح والتعليل.

(فمنذ زمن بعيد) لاحقة شدت انتباه القارئ وجعلته يتساءل، ماذا جرى منذ زمن بعيد؟ تأتي الإجابة إن الأحوال ساءت، فلم تعد القرية كما هي بل صارت جحيما، وليس هذا فحسب فقد حملت اللاحقة الزمنية وصفا دقيقا لما جرى في البلاد منذ زمن، وأهم شيء أن موسم الأمطار قد انتهى ورحل، أتى الشتاء بكل ما فيه من برد قارس ومجاعة لا ترحم أحدا، فقد كانت تلك المجاعة سببا في تشرد مئات الأسر، فلم تعد القرية مكانا آمنا للبشر، لاسيما ولقمة العيش لم تعد متوفرة، وهذا ما سبب الرحيل والغربة بعيدا عنها؛ فهي لم تعد تمتلك مقومات الحياة التي يحلم بها كل فرد، ومنها يقدم السارد رسالة للمجتمع

القابع تحت وطأة الظلم مضمونها أنه جاء الوقت الذي لا بد أن يكون كل فرد فيه قادرا على الصمود في وجه الظلم والجبروت، قادرا على قول (لا) للظالم الذي يتربع في العز والشعب يئن ويتألم جوعا تحت وطأة الشتاء القاسي وهروبا من الموت يغادر وطنه رغما عن أنفه، مأساة مؤلمة أن يغادر الإنسان موطنه الأصلي إلى عالم غريب، وقبل أن يشير (محمد عبد الولي) إلى الغربة نراه متخوفا منها، وغير راض بها، يهابها مثلما يهاب الموت في أرض وطنه، لهذا يقدم دعواه للتحرر ورفع شعار عدم الاستسلام والرضوخ للحاكم.

– استعمال السارد لبعض الصيغ الاسمية ذات المحمول الاسمي بشكل كبير

ومن ذلك قوله: " **سألت بعض من قابلتهم، فقيل لي أن هناك منزلا قد أنهار بالأمس بفعل الأمطار الشديدة، وقد دفن تحته حين أنهار كل سكانه من النساء والأطفال...كان منظرا بشعا يا صديقي أن أرى إنسانا يدفن تحت نظري، بدون اختياره وخاصة إذا كان هذا الإنسان امرأة ... أو طفلا ... كسكان هذا الدار**" [43]، فقد وردت الصيغ الاسمية كالآتي: (**أن هناك منزلا قد أنهار بالأمس، وكان هناك خمسة رجال فقط، كان منظرا بشعا يا صديقي، كان هذا الإنسان امرأة .. أو طفلا**) في سياق الحديث عن الدار التي سقطت على سكانها، ابدى السارد تعاطفه مع جنس معين من البشر وهم الأطفال والنساء، حيث شكل هذا الاستخدام لمثل هذا التركيب الاسمي (فعل + اسم + اسم) وصفاً سردي لواقع وأحداث حقيقية، وبهذا يكون السارد قد حدد محمولة الاسمي على نوعية الإنسان (امرأة وطفل) ولم يقل رجلا؛ لأن المرأة بدورها وبها تستمر الحياة ويكون الطفل ناتجا من نواتج استمرار وتجدد الحياة، وبهذا كان المحمول الاسمي أكثر شمولية من المحمول الفعلي، كون هطول الأمطار يؤدى في بعض الأحيان إلى زيادة تفاقم المأساة عمقا حيث تفضي غزارتها أحيانا إلى تدمير وتخريب كل شيء (المباني والزراعة والمدرجات) فضلا عن ذلك فإن السيول قد تجرف الحيوانات والإنسان مع التربة الطينية للأراضي وتقضي على حياة الجميع ...

– ستعمال السارد لصيغ المحمول الفعلي بنسبة أقل من الصيغ الاسمية

كما ورد في قوله: " **إنني أصبحت أقضي معها وقتي فوق الأكمة، أنظر إليها وهي تجمع الأحطاب وأتعمد أن أجعل عيني تلتقيان بعينيها، وابتسم لها، ... لقد قضيت معها ساعات جميلة، ... التي تعيش فوقها ذات شعر أسود كالليل، وأنف مدبب حاد عليه سيماء الحزن الذي ترسله عيناها ... أما قوامها فلا أستطيع تحديدا له...**"[44]، فقد تعددت المحمولات الفعلية في النص ما بين فعل (ماضي) و(مضارع) على النحو الآتي: (إنني **أصبحت أقضي** معها)، (**تجمع الأحطاب، وأتعمد أن أجعل عيني تلتقيان بعينيها، وابتسم لها**)، (**قضيت معها ساعات جميلة**)، (**تعيش فوقها ذات شعر أسود كالليل**)، (**ترسله عيناها**)، (**فلا أستطيع تحديدا له**)، حيث حملت كل تلك الصيغ أبعادا دلالية على مستوى الخطاب السردي.

– الاستئناف

يُعد الانقطاع الذي يُحدثه السارد بالطول أو القصر يعود كي يستأنف سرد ووقائع الحدث بتعبير آخر بعد سرد رجعي أو وصف أو انتقال من حدث إلى حدث، حيث يتم استئناف السرد بعدة وسائل منها:

– استعمال الجمل الخبرية ذات المحمول الفعلي الدال على المضي المطلق

ومنه قوله: " **أما زوجتي تلك الفتاة الجميلة التي همت بها حبا حين كنا نرعى الأغنام على جبال قريتنا، والتي أثارت ضجة حتى تزوجتها، قد أصبحت الآن عودا يابسا لا حياة فيه، إن أعمال المنزل المثيرة والمرهقة قد حولتها إلى مجرد آلة من أجل الآخرين، وكم حاولت أن أعمل من أجلها شيئا، لكن لا فائدة** "[45]، فالجمل الخبرية التي أوردها السارد كانت دالة على المضي نحو مستقبل أفضل، وما (هند) و(فتاة الجبل السمراء)، و(زينب) إلا رموزا إشارية للخروج باليمن من عالم إلى عالم أكثر استقرارا وأمانا، فـ(هند) شكلت انتفاضة قوية وعنيفة ضد الظلم، وقد كانت هذه الانتفاضة ضد العادات والتقاليد التي تقف في صف الولاء للحاكم الظالم، ثم جاءت (فتاة الجبل) لتكمل تلك الانتفاضة وتسعى جاهدة لتخليص الوطن مما هو عليه، غير مبالية بالآخرين وتهديدهم وقمعهم، لتنتهي تلك المرحلة بشخصية (زينب) العاهرة التي وردت في النص السردي حاملة انفتاح السارد على عالم أكثر حرية مقارنة بالمجتمعات الأخرى .

– استعمال لواحق زمنية للدلالة على العودة إلى محور الزمن السردي

ومنه قوله: " **الحب يا صديقي لا اعرفه، بل لا أحس بوجوده، خاصة هنا في هذه القرية بعد تلك القصة التي أثارت قريتنا منذ خمس سنوات حين أصررت على الزواج، واخترت زوجتي بنفسي، لأني كما قلت في ذلك الوقت كنت أحبها، وتحت اصراري وثورتي تمت الزيجة** "[46]. فقد استعمل السارد اللاحقة الزمنية المحددة بـ(منذ خمس سنوات) المرتبطة بالقصة القديمة التي جعل منها محورا للخطاب السردي المتناول في كل جزئيات الرواية، فهذه الواقعة التي انتصر فيها السارد لنفسه أولا و لكل أفراد المجتمع ثانيا شكلت قوة نفور تجاه من يقدم على الزواج تحت ضغوط العادات والتقاليد، وهو بهذا خلص نفسه من هذه الواقعة وكذلك كل أبناء جيله حتى بات الكل يحسده كما ورد في قوله: " **وكان كل شاب في قريتنا يحسدني لأنني تزوجت حسب رغبتي**"[47].

ولم تتوقف اللاحقة الزمنية هنا بل شكلت نقدا له حتى" **قال البعض أن حياتي المستمرة في المدينة قد جعلتني أشد تمسكا برأيي عن أن أوافق على رأي أهل القرية**" [48]، فهي مستمرة على مستوى الخطاب السردي، وهي نقطة انطلاق الرواية حيث شكلت محور القضية، وهو التحرر من جلباب الظلم والعادات والتقاليد والثورة على النظام المستبد والغاشم، وأول انطلاقة للتحرر على المستوى الشخصي هو التحرر من العادات والتقاليد والإقدام على مخالفتها، مخالفة تامة تحت رضوخ جميع أهالي القرية، الذين وقفوا عاجزين أمام فعلته تلك.

– إعادة آخر جملة في النص السردي قبل انقطاعه، حيث تكون الإعادة إما تامة أو جزئية

أولاً: الإعادة التامة للنص الروائي

كما في قوله: " **نعم يا صديقي إنني أشعر أن بداخلي شيئا يتحرك، شيئا سيحطم حياتي كلها، وربما حياة من أعيش بينهم، ولكن سأستمر ولن أتوقف مهما كانت الخطورة، دعهم يتحدثون بما يشاؤون، فليقولوا إن (نعمان) يعشق زوجة (درهم بكر)، وليقولوا أنها أيضا تعشقني، فما دمنا كلانا نجد السعادة في أحضان الحب أو الخطيئة، سمها ما شئت فلا يهمنا ما يقولون؛ لأن دماء الشباب الحارة المتدفقة لا يستطيع أحد أن يوقف تدفقها.**" [49]

فالإعادة جاءت تامة على نحو منطقي وبأسلوب دلالي على المستوى السطحي للخطاب السردي الروائي مشكلة وحدة متكاملة للنص، حيث تمثل ذلك الأسلوب في المعنى الظاهر على النص منذ الوهلة الأولى بأن السارد يعيش مرحلة حب وقصة عشق (لفتاة الجبل السمراء) التي سلبت عقله، حيث إنها أثرت عليها تأثيرا كبيرا حتى نسى أهله وكل معارفه، فلم يعد مهتما لأمر أي إنسان في القرية سوى فتاة الجبل، فهو يمتلك شعورا جارفا نحوها ولن يستطيع أحد أن يقف في طريقه أو يوقف شعوره الحار والمتدفق باتجاهها، أما على المستوى السرد الخفي فإننا نجد أن السارد لم يكن يعشق فتاة الجبل السمراء إلا لأنها رمز للثورة والانتفاضة ضد الظلم، وهو لا يبال بكلام الناس إلا لأنه على يقين بأنهم سوف يعرفوا مقصده ولا بد لهم من الانضمام معه لأجل الوطن، حتى إنه يشعر بأنه سوف يقدم على ذلك العمل الذي سيحطم حياته وحياة من حوله بسبب القمع والتنكيل الذي قد يصيبه، ومع هذا فقد اتخذ قراره ولن يتراجع عنه بقوله: " **ولكنني سأستمر ولن أتوقف مهما كانت الخطورة** "[50]، ومع أنه يعرف أن هناك خطورة عليه وعلى ما سيقوم به إلا أنه يؤكد بأنه لن يتخاذل لحظة " **لأن دماء الشباب الحارة المتدفقة لا يستطيع أحد أن يوقف تدفقها** " [51].

ثانيا: الإعادة الجزئية والتفصيلية للنص الروائي

كما ورد في قوله: " **سأغادر القرية، هذا هو شعاري، إن حياتي أصبحت لا جدوى منها هنا فلا بد من الرحيل، ولا بد لي من ممارسة حياتي العادية** " [(52)]، حيث قدم السارد إعادة جزئية للجمل السردية، فهو قرر أن يغادر القرية، وكان عليه أن يكتفي بهذا القرار، ولكنه كان يسعى إلى تحقيق الأنساق السردية لهذا جاء بالجزئيات التفصيلية المفسرة للسبب الذي جعله يتخذ مثل ذلك القرار، فشعاره كان هو المسيطر عليه، لاسيما وهو لا يحب العيش في الريف لأنه يشعر بأن حياته لا جدوى منها، فالقرية بكل ما فيها من عادات وتقاليد وروتين يومي معروف جعلته مقيدا؛ إذ لم يستطع أن يمارس حياته العادية التي عاش عليها، وعرف بها بين الناس. وبعد أن أشار إلى مغادرته للقرية، يعود مرة أخرى للحديث عن تلك الجزئية التي شغلته بقوله: " **لن أبقى لحظة، سوف أغادر القرية، سأعود إلى المدينة، إلى الصخب والدفء، والصداقة إلى الحياة التي تشعرني الإحساس بها**"[(53)]. حيث يبرر سبب عودته المباشرة إلى المدينة بكل ما فيها من سلبيات إلا أنه يجد متعته في الصخب والدفء، وأشياء كثيرة سُلبت منه في القرية، ومع أن فكرة الهجرة والنزوح من القرية إلى المدينة باتت فكرة مسيطرة عليه إلا أنه لم يزل يعاود الحديث مرة أخرى عنها بقوله: "**سأنهى إجازتي في القرية، ولكن سأقفل منذ الغد باب الحجرة، ولن أرى أحدا، سأظل أطل من نافذتي الصغيرة على العالم** "[(54)].

ففكرة السارد كانت فكرة ناضجة؛ لأنه يبحث عن الثورة والتحرر من الظلم والقمع، فما كان عليه إلا أن يغادر القرية متجها صوب المدينة، فالقرية وأناسها لا يتطلعوا إلى عالم أفضل ومستقبل مشرق لأنهم اعتادوا على روتين معين وهو العمل في

الحقل والزراعة، ثم العودة إلى مجلس القات الذي يتحدثون فيه عن فلان وفلانه والقيل والقال، لذا هجر منزله إلى أحد الكهوف المطلة على القرية ليعيش حياته في ظل الهدوء والراحة النفسية التي يريد أن يشعر بها، حيث لم يعد أمامه خيار ثالث تجاه ما هو عازم عليه، فقد بات مصيره معروفا وهو يدعو إلى الانتفاضة من الظلم، ولهذا صار لا بد عليه من مغادرة القرية التي لم تعطه فرصة للتعبير عن رأيه بحرية والدعوة إلى التجديد والخروج من ظلمات الاستبداد، وحتى لا يقف في طريق كل أبناء منطقته ويكون سببا في عقابهم والتنكيل بهم، فقد خلا بنفسه وبأفكاره في الجبل – أعلى قمة في الوادي– وهناك تشكلت أفكاره ورسم ما ينبغي عليه القيام به، وكان أهم شيء هو توعيه الناس لما هم فيه، إذ ليس من السهل أن يستجيب أهالي القرية لما يدعوهم من أجله لا سيما وهو صاحب ثقافة مختلفة، والسارد نفسه أشار إلى تلك الفوارق، وإلى صعوبة إقناع الناس بأنه يريد لهم الصلاح في وطن حر وآمن، بقوله: " **مادام الناس يعتقدون ذلك فليس لدى حيلة** "[55].

4. خاتمة

– تشكلت بؤرة الخطاب الروائي السردي لرواية (صنعاء مدينة مفتوحة) في نقطتين: أولهما نقطة الاختلاف في توظيف أكثر من محور لخدمة حدث سردي واحد، وثانيهما نقط الاتفاق في حضور أكثر من حدث سردي لخدمة أكثر من محور وارد في النص الروائي.

– تضمن الخطاب الروائي في الرواية على حدات وأنساق سردية دلت على حدث واحد ومحاور متعددة منها: محوران أو أكثر، ومن أمثلة ذلك ما ورد على لسان السارد في وصف حال اليمن — في حدث واحد – وما ينبغي العمل من أجل الخروج من تلك الأزمات في عدة محاور تمثلت في الدعوة للتحرر والغربة والهجرة والانتفاض وغيرها من المحاور المتعددة، كلها كانت في خدمة لحدث واحد وهو هدف السارد المتمثل في التغيير والانتفاضة والإفاقة من السبات العميق، والعمل على التحرر والخلاص من الظلم.

– احتوى الخطاب الروائي على وحدات وأنساق سردية تضمنت أحداثا متعددة، مع أن الحدث السردي واحد، ومن ذلك: بطل الرواية (نعمان) الذي يعد محورا واحدا في (صنعاء مدينة مفتوحة) مع أن الأحداث المرتبطة بهذه الشخصية كانت متعددة ومتنوعة بحسب ظروف النص السردي والحكاية القصصية المرتبطة بشخصية البطل الروائي الذي يعيش في ظل أزمة واقعية وقلق نفسي، ومن هنا استدعي السارد أحداثا متعددة لخدمة بطل الرواية الباحث عن العدالة والمساوة في ظل وقع تعيس وحاكم مستبد.

– حاولت السارد المحافظة على دور الشخصية المحورية وتسلسل الأحداث، فلم يؤد انقطاع الحدث وتعدد الشخصيات إلى انقطاع نسق السرد، وهذا يدل على تمكن السارد من غزل نسيج روايته بإتقان، والربط بين عناصر السرد، وبناء معمار روايته بناء فنيا ودلاليا محكما.

– شكلت الرواية كخطاب روائي نقدا اجتماعيا للواقع اليمني، من خلال تصوير مأساته، وتجسيد صور الحياة بتناقضاتها ومعاناته، ومحاولة للتعبير عن الماضي ومعالجة الواقع واستشراف المستقبل.

قائمة المراجع والمصادر

1. أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، الرباط، المغرب، ط1، 1993.
2. جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف تنجز الأشياء بالكلام) تر: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د. ط، 2008.
3. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
4. محمد عبد الولي، رواية صنعاء مدينة مفتوحة، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
5. وئام رشيد عبد الحميد ديب، تقنيات السرد في الخطاب الروائي العربي في فلسطين من عام (1994 – 2006 م)، رسالة ماجستير – غير منشورة – الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2010.
6. فولفجانج هاينه مان، مدخل إلى علم لغة النص: تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2004.

7http://www.nizwa.com

الهوامش

1 – أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، الرباط، المغرب، ط1، 1993، ص134.

2 – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 – المرجع نفسه، ص124.

4 – انظر: المرجع نفسه، ص134.

5 – محمد عبد الولي، رواية صنعاء مدينة مفتوحة، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص25.

6 – انظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص145، 146.

7 – محمد عبد الولي، صنعاء مدينة مفتوحة، ص8.

8 – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

9 – المصدر نفسه، ص20.

10 – المصدر نفسه، ص9.

11 – وئام رشيد عبد الحميد ديب، تقنيات السرد في الخطاب الروائي العربي في فلسطين من عام (1994 – 2006 م)، رسالة ماجستير – غير منشورة – الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2010، ص38.

12 – محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، صفحات 249 – 350.

13 – انظر: أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، مرع سابق، ص132.

14 – محمد عبد الولي، صنعاء مدينة مفتوحة، ص5.

15 – المصدر نفسه، ص94.

16 – جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف تنجز الأشياء بالكلام) تر: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د. ط، 2008، ص17.

17 – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

18 – انظر: فولفجانج هاينه مان، مدخل إلى علم لغة النص: تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص51.

19 – محمد عبد الولي، صنعاء مدينة مفتوحة، ص21.

20– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

21 – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

22– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

23- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
24- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
25 - المصدر نفسه، ص22.
26 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
27- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
28- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
29- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
30- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
31- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
32- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
33 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
34- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
35 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
36 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
37 - المصدر نفسه، ص44.
38 - انظر: أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، مرع سابق، ص139.
39 - محمد عبد الولي، صنعاء مدينة مفتوحة، ص14.
40 - المصدر نفسه، ص13، 14.
41 - المصدر نفسه، ص29.
42 - المصدر نفسه، ص69.
43 - المصدر نفسه، ص20.
44- المصدر نفسه، ص10.
45 - المصدر نفسه، ص7.
46 - المصدر نفسه، ص9.
47 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
48 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
49 - المصدر نفسه، ص11، 12.
50 - المصدر نفسه، ص11.
51 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
52 - المصدر نفسه، ص10.
53 - المصدر نفسه، ص11.
54 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
55 - المصدر نفسه، ص16.